

ذكرياتٌ من السجون الشيوعيّة

القديس صوفيان المعترف

كنتُ سجينًا في السجون الشيوعيّة، والله يعلم كم كان هناك من ظلمٍ وكرهيةٍ وشرٍّ... لا تكفي الكلمات لوصف ذلك كلّهِ. كيفما تلتفت لا تجد إلا الكراهية. ولكن، بفضل رحمة الله، كنتُ قادرًا على الصلاة، وكنتُ مطمئنًا جدًّا. كنتُ أصليّ فتبدو كراهيتهم وكأنّها تُوجّه كلّها نحو شخصٍ آخر.

عندما كانوا يعدّونني بشدّة، كنتُ أحاول عدم التمرد والاعتراض، وأفكر في نفسي قائلاً: "فلا تُذكر كم أخطأتُ أمام الله، ولهذا أعاني الآن هذا الظلم". وكنتُ أتذكر خطايا متنوّعة قد ارتكبتها، لم يعلم بها إلا الله وأنا؛ وإذ رأيتُ الألم كفارةً عن خطاياي، لم أتمرد، بل اقتبلته بحرّيّةٍ داخليةٍ كاملة.

كنتُ أفكر في أنّي، أنا أيضًا، شريرٌ وخاطيء، وقد خطئْتُ أمام الله. كنتُ أفكر في أنّي قد أكون أسوأ من جميع الحراس مجتمعين، وأقول لنفسني أنّي لو كنتُ أفضل منهم، لما كانوا بهذا السوء، وبالتالي، فأنا أيضًا أحملُ ذنبَ شرورهم. وحين كنتُ أفكر بهذه الطريقة، كان شعور التمرد يزول من قلبي، وأغفرُ للجميع، وأصليّ لهم، وأنسى الألم الذي سبّوه لي. أقول لكم بصدقٍ إنّني عندما تمكّنتُ من فعل هذا كلّهِ والتفكير في خطاياي، شعرتُ بفرحٍ عظيمٍ وسلام، وبوفرةٍ من المحبّة في قلبي، وكأنّني أطيّر، مع أنّي كنتُ سجينًا.

• الصلاة كما في السجون الشيوعيّة¹

س: ماذا تخبرنا عن قوّة الصلاة التي امتلكها بعض الأشخاص في السجن؟

ج: كنّا تحت حراسةٍ شديدة، مقيدين في السجن، إلى درجة أنّنا لم نكن نستطيع التفكير إلا عمودياً نحو العلاء، نحو الله. عادةً، يصلّي الإنسان بحرارةٍ عندما يكون في ورطة. كانت السجون تجارب هائلة بحقّ، وكان الله يتقبّل صلوات السجناء في السجون الشيوعيّة. وعلى الرغم من كلّ البؤس والشرّ اللذين كانا يُلحَقان بالسجناء المساكين، امتلك هؤلاء سلامًا وفرحًا يستحيل أن يأتيهم إلا من فوق، من عند الله.

¹ مقتطف من محاضرة عن الصلاة ألقيت في بخارست عام 1996 لجمعيّة الطلاب المسيحيين الأرثوذكسيين الرومانيين.

كانت صلوات السجناء كصلوات الآباء القديسين في الصحراء، أو الشهداء الذين، فيما كانت أجسادهم تُحرق، كانوا فرحين مقدّمين الشكر لله على التضحية التي كانوا يقربونها له. بالنسبة لنا اليوم، توحى صلواتهم وطريقة حياتهم بأنّه من الجيّد لنا أن نواضع أنفسنا، ونجاهد، ونعيش حياةً نسيكية، على قدر المستطاع، من خلال الصوم والصلاة والسجدة، وأن نغفر الإهانات التي توجّه إلينا في الحياة، ونحتمل بصبرٍ دون تدمر. وعندها، يتقبّل الله صلواتنا كما تقبل صلوات الذين كانوا في السجون الشيوعية.

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

Source: Saint Sofian the Confessor of Antim Monastery (2022). "Recollections from the Communist Prisons", *Sayings of the Romanian Elders: [Part 1](#), [Part 2](#)*.